واجب الالتفاف حول «ولي الأمر»

● مابين سنوات وأخرى تمر بالأوطان أحداث تتفاوت في جسامتها وما تمثله من مخاطر على البلاد والعباد، منها ماقد يقتصر ضرره على فئة منهم فقط، أو جزء من البلاد على وجه الخصوص، وأخرى قد تعرضهم جميعاً للخطر وتودي بهم -لاسمح الله- إلى الهلاك، ومن ثم والحال هذه، تنطبق مقولة الكاتب الانجليزي (شكسبير) أكون أو لا أكون.

«نكون أو لانكون» هذه لليمن منها -والحمد لله الذي لايحمد على مكروه سواه- نصيب وافر عبر غالبية تاريخه الممتد المليء بالصراع وعدم الاستقرار، ولعل أبرزها قاطبة أحداث الفتنة التي حدثت في عام ١٩٩٤م والتي أشعل فتيلها طغمة من عشاق المناصب والمتشبثين بها مهما كانت الأثمان أو بلغت التضحيات، وكان من جرائها أن ألقت بالبلاد في أتون الحرب «أشهرا» أكلت من خيراتها ما لو صرفت في مجالات البناء والتنمية لكان حالنا اليوم أفضل بكثير مما نحن عليه، غير أنه كان ثمناً باهظاً ومهراً غالياً، على الرغم من جسامته المادية والبشرية إلا أنه دفع عن رضى واقتناع للمعشوقة «الوحدة اليمنية» جيلاً بعد جيل.

وفي هذه الأيام ينشط مرة أخرى العاشقون لرمي هذاالوطن في دائرة عدم الاستقرار، والظنين عليه بالعيش في هدوء وسلام شأن كثير من بلاد الله وعباده، ومن جراء ذلك يتعرض جزء من البلاد اليوم لفتنة دينية طائفية أثارتها فئة هم أنفسهم أولاً ضحايا لتراكمات عديدة من سوء الفهم الديني، والرؤى الخاطئة في الاجتهاد، وتبعهم في غيهم ذاك نفر من شباب امتزجت فيهم روح القبلية وأواصر القربى بالعاطفة الدينية والحقد على هذا الوطن وأشياء أخرى عديدة.. وخوطبت فيهم فطرتهم الدينية، واستغل فيهم حماسهم الديني غير الرشيد، والذي لم يوجه التوجيه الحسن، في ظل فراغ ديني عزت فيه كثيراً القدوة الحسنة، وأخفقت المؤسسات الدينية الوسطية في ملئه، فما كان من تلك الأصوات إلا أن صادفت قلوباً خاوية فتمكنت منها، وعقولاً استجابت لها، وما كان من أولئك الشباب إلا أن استجابوا لأول ناعق ملأ رؤوسهم بأفكار فساروا خلفه على غير هدى فضروا أنفسهم وأضروا غيرهم.

ودون دخول في غي أفكارهم وضلالتها والتي مكانها طاولة النقاش الفقهي والعلمي المتزن، وأداتها الإقناع المنبني على الحجة والأدلة والبراهين النقلية والعقلية، ومواجهة الرأي من خلال الرأي، وليس من خلال فوهات المدافع ونيران القنابل!

بعيداً عن ذلك كله؛ لايراودني أدنى شك بالجزم أني في حل عن الخوض في معتقداتهم وأفكارهم .. مستندي في ذلك عدد من رموز العلم والعلماء ممن بلغت أسماؤهم أسماع الدنيا وممن لم تبلغ ذلك -دون إقلال من علمهم أو من شأنهم- الممتدين عبر أنحاء العالم العربي والإسلامي، والذين لايتسع المقام لتعداد أسمائهم، ممن أخذوا على عواتقهم تبليغ هذا الدين للناس والتعبير عن جانبه المشرق و«وسطيته» بعيداً عن الغلو والتطرف الذي أساء لهذا الدين، وكره فيه من لايعرفه على حقيقته!

أم تراهم أروع وأعلم من جل علماء هذا الوطن الذين بمختلف مشاربهم وتوجهاتهم الفكرية والمذهبية التقوا على كلمة سواء، فأبانوا خطأهم، وأجمعوا على نكران ماأقدموا عليه من أفعال ألحقت كثيراً من الضرر بالبلاد والعباد، ووقع ضحيتها كثير من الأبرياء، وبرأوا إلى الله والوطن والتاريخ من قبيح فعلهم.

إن من لديه أدنى معرفة بتراثنا الديني ونهج سلفنا الصالح من الائمة والفقهاء والعلماء الورعين يدرك غاية الإدراك أنهم قد تعاملوا بحكمة بالغة وحذر شديد في معرض حديثهم عن تجويز الخروج على الحاكم الجائر وجعلوا لذلك قيوداً شديدة تجعل الخروج أقرب إلى المنع منه إلى التجويز؛ ولم يكن ذلك النهج لجبن فيهم - لا سمح الله - أو شجاعة من ذوي «السنتيمترات» المحدودة من ذوي العلم اليوم الذين اعتقدوا أنهم اعلم واحرص على هذا الدين من أولئك السلف الصالح والورع ولكن كانت مواقفهم تلك من أجل الحفاظ على بيضة الأمة، والوقوف أمام أي شيء من شأنه أن يهدد وحدتها أو يعرضها للخطر أو يودي بها إلى التهلكة .. من أجل ذلك كان موقفهم واضحاً غاية الوضوح في هذا الشأن.

فما بالنا اليوم وحالتنا مختلفة غاية الاختلاف؛ وولي أمرنا والحمد لله قد وهب البلاد ما لم يهبها أحد قبله، أعطاها الديمقراطية ومنحها الحرية التي هي أهم من رغيف الخبز، كما يقال هذه الحرية التي كثير ما نكتوي بسوء استخدامها من فئة لا تقدر أمانة الكلمة ولا مسئوليتها، وعلى الرغم من كل ذلك يؤكد «زعيمنا المحبوب» مراراً ألا تراجع ولا انتكاص عن هذا الاختيار، على اعتبار أن أخطاء الديمقراطية لايصلحها إلا مزيد من الممارسات الديمقراطية، «حاكم» حقق للبلاد الأمن والاستقرار الذي ننعم بالعيش في ظله، ولا ينكره إلا جاحد أو مكابر، بحيث غدا الرائح والغادي يقطع المسافة من «صنعاء» إلى «حضرموت» لايخاف إلا الله و«عطل قد يحل بسيارته».

«قائد محنك» جنبها مخاطر ليس بمقدورنا مواجهتها، أعطاها -ولا زال- الكثير والكثير الذي لايتسع المقام لذكره، ويكفي أن أفعاله تنبئنا كل يوم بأنه هو أحرص من أي واحد منا على هذا البلد، والذي يتضح من خلال حرصه الشديد على جلب كل ماينفعه إليه، ودرء مايضره عنه.

أبعد كل هذا؛ يأتي منا اليوم من يحاول شق صفنا، ويسعى إلى الوقيعة بيننا، فيقض مضاجعنا، ويهدد أمننا واستقرارنا، ويشعل فتيل الفتنة فينا .. إن أفعالاً كهذه، وأشخاصاً على هذه الشاكلة لهم مستوجبون منا جميعاً الوقوف صفاً واحداً في وجوههم، لردعهم ودرء شرورهم، ملتفين التفاتة رجل واحد خلف «قيادتنا السياسية» في هذا المعترك الخطير، فالوقوف خلف «ولي الأمر» في هذا الشأن هو واجب ديني أولاً، ووقوف خلف الوطن بما يمثله لنا وجوده من وجود، فالوطن وطن الجميع ننعم بخيراته جميعاً في فترات الاستقرار، ويجب أن نذود عنه في لحظة تعرضه لأي خطر من أي عابث غر متعصب نصب نفسه مدافعاً عن هذا الدين، ويحاول أن يصنع من نفسه وصياً علينا، ناسياً أنا قد بلغنا الطوق، مذ أن نلنا حريتنا واستقلالنا، مع تولي فخامة الأخ الرئيس/ علي عبدالله صالح مقاليد دفة الحكم في هذا البلد، وبلغ ذلك الرشد أوجه بعد تحقق الوحدة المباركة إذ أصبح كل شيء من الشفافية والوضوح بمكان، ولم يعد لدينا شيء نخفيه أو نخاف من الإفصاح به، وبوسع كل شخص أن يقول مايشاء ويعبر كيفما يريد طالما كان كل ذلك في إطار القانون وعدم الإضرار بوحدة الأمة أو مصلحة هذا الوطن العزيز على المخلصين من أبنائه.

إذاً فلم اللجوء إلى العمل السري في عصر كل شيء فيه باد للعيان، أو اختيار العنف في وقت يعج فيه العالم بالاضطرابات، والبلاد أحوج ماتكون فيه للأمن والاستقرار، أتراهم بعد كل ذلك على صواب والأمة جميعها بعقلائها وعلمائها على خطأ؟ حاشى لله ولرسوله الذي ضمن ألا تجتمع أمته على ضلالة.

(*) نائب عميد كلية الفنون الجميلة - جامعة الحديدة..

سبتمبر.. المنبع والنهر

عبدالقادر الشيباني

● ماذا حدث في بحر اثنين وأربعين عاماً من ١٩٦٢م إلى ٢٠٠٤م؟ لاشك أن كل عام يمر عبر المسالك الآمنة، والمحفوفة بالأخطار يحفل بشواهد من البناء والتنمية وشوامخ في مجالات الصحة والتعليم والثقافة وفتح المزيد من المصانع والجامعات ..فضلاً عن توسع مدن جديدة إلى جانب المدن القديمة التي ينادى به عالمياً أن تُحمى كل شواهدها لتلحق ضمن التراث الثقافي العالمي، وهنا قد ينبثق سؤال مُلح هو: هل استفادت نسبة كبيرة من أجيال سبتمبر من سلبيات وإيجابيات الثورة؟! أما أجيال ماقبل الثورة فقد رضوا بما قدموا من واجب التضحية .. وارتضى الغالبية منهم كمناضلين (حقيقيين) بواقعهم وعيشتهم الضنكة وهذا ماأدركه رئيس الجمهورية/ علي عبدالله صالح وأشار في كلمة سابقة له أن هناك من المناضلين المنسيين يعرفهم بنفسه كما قال: بأنهم قدموا من التضحية للثورة اليمنية ونفوسهم عزيزة، لهذا لابد أن تشملهم الرعاية الحكومية.

● إذاً .. فمن المستفيد من سبتمبر ١٩٦٢م إلى سبتمبر ٢٠٠٤م الواقع أن أي ثورة لم تقم وتراق فيها الدماء إلا لتخلص الشعب من ظالم ومظلوم، وقاهر ومقهور، وثورة اليمن لم تكن إلا ثورة عدل على ظلم، فهل تحقق كل ماكنا نرجوه أن يتحقق أو قل سيتحقق على المدى القريب أو البعيد؟

● صحيح أن أجيال الثورة اليمنية استفادت أكثر مقارنة بالأجيال التي ذاقوا فيها مرارة تخلف العهد الماضي التي قضت عليه الثورة، وأعتقد أن الجميع استفاد من التجارب الإيجابية التي عادت بالنفع في مناحي التعليم، والثقافة، والاقتصاد والتجربة الديمقراطية بعد تحقيق الوحدة ١٩٩٠م كما يجب الاستفادة من التجارب السلبية وهي كثيرة لم تسلم البلاد من ظواهر شبيهة بظواهر ماقبل ١٩٦٢م .. وإن كنا نشهد اليوم من المزعجات .. فكان هناك من يريد محو الذاكرة أو الذكر عن سبتمبر وأكتوبر لكي يعود العهد القديم الذي كان قبل الثورة.

فهل أدرك مثل هؤلاء التطورات من حولنا، في عالم هذا الكوكب الأرضي .. لقد تناءت وحشة الاغتراب وأصبح الغائب بإمكانه الاتصال بقريبه المقيم في الوطن، أو العكس الاتصال في أي لحظة ومن أي مكان قريباً كان أو بعيداً خلف المحيطات، وشواهد الفضائيات قرّبت كل بعيد، وكل شواهد هذا التطور في راحة الانسان، وشقائه في نفس الوقت رحمة التكنكة المعقدة في دنيا التكنولوجيا.

● ولنعتبر أن شواهد الحاضر والفعاليات التي تجري هذا العام في صنعاء عاصمة الثقافة العربية وتوالي المؤتمرات التي تعقد فيها من العوامل الحضارية المشهودة التي فيها تذكر ثورة سبتمبر ويمجد فيها الشهداء الأبرار.

● لهذا لايمكن تجاهل ماأنجزته أجيال الثورة من تغيرات في البنى الاجتماعية والسياسية والثقافية، وإن كان الأفضل لايزال منتظراً.

● لعل الفترة الممتدة من سبتمبر ٦٢م إلى سبتمبر ٢٠٠٤م قد أثمر فيها عطاء ونماءً وساحة واسعة في مدارج التعليم والتربية صحيح أن الأجيال التي جاء بها سبتمبر ١٩٦٢م فقدت مرارة العهد الإمامي لطول الفترة من الثورة إلى اليوم، ولم يعد هناك مَنْ يتذكر مآسي الماضي إلا قليلاً من الأجداد والآباء، وهذا لايهم كثيراً شباب الحاضر، بقدر مايهم أن تأخذ أجيال الحاضر وشباب اليوم بمفاتيح علوم المستقبل.

● والواقع أن كثيراً من الثورات لاقت في الخمسين السنة الماضية كالتي لاقتها الثورة اليمنية (سبتمبر وأكتوبر) ولكن يظهر أن مجتمع سبتمبر اليمن كان ولا يزال أكثر قلقاً واهتماماً بالثورة لأن حرارتها في الأذهان والنفوس لم تنته .. لأنها تدفقت من كل عناصر الواقع، سبتمبر لايزال المنبع والنهر.

البعض يتهربون من دفع الضرائب!!

● ياحسرة على الخزينة العامة والمواطنة الصادقة من هؤلاء الذين لايرون بائع الفجل والكراث أصدق منهم وطنية من خلال الأداء الضريبي الطوعي دون حاجة إلى فاحص ضريبي قد يتعرض للأذى من ورثة جبلة بن الأيهم لو طلب منهم صدق الإقرار بأرباحهم الطائلة وحجم تجارتهم التصديرية والايرادية، وكأنهم أولاد المنذر بن ماء السماء، وكذلك لايخضعون للقانون الضريبي أو يعيرونه اهتماماً يذكر، وهذا مايثير الريبة والشك في صدقية انتمائهم إلى منبع العروبة اليمني بشموخه التاريخي، وكان المكلف بدعم الخزينة العامة للقيام بواجباتها هم صغار التجار ومحدودو الدخل، أما فطاحلة الاستيراد والتصدير فلا يعنيهم عن وطنهم شيء، وذلك حسب ترجيح المراقبين هو السبب في عجز الميزانية العامة، فلولا تهرب كبار المتهربين وذوي الدخول الكبيرة لما كان هنا عجز يوماً ما، فكبار ذوي العقارات المؤجرة بالعملات الأجنبية مثلاً يبخلون على شعبهم لإقامة الخدمات الضرورية إيجار شهر واحد في العام، أفلا يكون السبب اعتقاد هؤلاء بأنهم معارين لنا من كوفي عنان؟ أو أنهم يمنون علينا بانتسابهم إلى يمننا الأشم، أو يعتبرون بلدهم مجرد سوق لجني الأرباح؟

إن أمر هؤلاء محير جداً، فهم يعتبرون حماهم المنيع أعز من حمى كليب وائل قبل انبعاث عروبة الإسلام المحمدية، رسول العزة والعدل الانساني في تاريخ البشرية، منذ بدت لآدم وحواء سوءاتهما فطفقا يخصفان عليهما من شجرالجنة، إلى أبد الآبدين، لذا نأمل أن لاتبدو للمتهربين سوأة تهربهم الضريبي فلا يجدون قشة لسترها يوماً ما، وقد تفاقم الاستياء العام من تهرب الموسرين وإذعان ذوي الدخول المتواضعة للواجب الوطني رغبة، وإن كان البعض لايستجيب إلا رهبة كمن يؤجر على رغم أنفه، وإزاء تهرب الكبار مع سبق الإصرار والترصد لايفيد سوى استخدام الصرامة العالمية ضد المتهرب ضريبياً، فهناك أولو استثمارات في الغرب الأوروبي عندما يحين أوان الدفع الضريبي يتوجهون ركضاً للسداد، في حين يلتزمون التهرب في يمنهم العظيم، والسبب صرامة الواجب الضريبي في دول العالم المتحضر، والتهاون في الحزم إزاء ذلك في بلادنا، مما يجعل المحصل الضريبي يتهيب فصيل جبلة بن الأيهم المتأفف عن الاذعان للقوانين الضريبية اليمنية، بينما القوانين الأجنبية على العين والرأس! وهذا مايؤسف له أشد الأسف.

فيا جهابذة التهرب، أليس يمنكم الذي أعالكم أولى بالطاعة والانقياد لمطالبه الوطنية؟ بلا إنه الأولى فالبيت اليمني أولى ببر بنيه، فإذا كنتم تركضون ركضاً لسداد ضرائب استثماراتكم في الخارج، فاعْدوا كالسليك بن سلكه، أشهر العدائين العرب لسداد الضريبة إلى خزينتكم العامة، لصالح عقر داركم اليمني، فذاك خير أداء لصالح أمتكم ووطنكم، وبالتالي شاهد ناطق على حسن مواطنتكم الصادقة، وذاك مايدعو للفخر وأي فخر، إذ لامفخرة في عنجهية قريش في العصر الجاهلي تمرداً على الطوع الضريبي لصالح أهل البيت اليمني وليس الأجنبي المطاع طوعاً أو كرهاً دون أبسط تفكير في التهرب، إذ لم يشفع لصوفيا لورين مكانتها السينمائية أو سحرها الأخاذ في إعفائها من مثقال ذرة من الضريبة المتوجبة عليها في بلدها إيطاليا المحب لها، بل كانت محل استهجان بعد افتضاح تهربها الضريبي فتحولت إلى قمر أصابه الكسوف، في حين لم ينكسف قمر المتهربين بعد في يمننا قمر الشعوب عزة وشموخاً، لولا عاهة التهرب الضريبي، واقتصار الأداء الضريبي على من هم في متناول اليد دون المستعصين داخلياً والمطيعين خارجياً للأسف، وإنه لمؤسف بمرارة أن يستجيب محدودو الدخل ويتمرد وافروه.

رحلة منتصف الليل!

حسين جمال البكري

● بعد وقت قصير اقتربت سفينتنا السياحية من مدينة (صقلية) أي (سيسيليا) الايطالية جلست فوق السطح أتفرج على العرض الفني.

كنت العربي الوحيد معي عشرات السياح الأجانب من مختلف الجنسيات. إنها (رحلة الأحلام) ومن ضمن برامجها المرح والرقص واللعب الجماعي، والسفينة كل يوم تبحر عند منتصف الليل، كانوا يتصرفون بتحضر وأدب جميل فلا أحد يعتدي على أحد ولو...

● وبغتة! سمعت أحدهم يقول: هيا امسكوه. احملوه ولم أكن أعلم أنه يعنيني..

على الفور حملوني (كنت شاباً) وسألوني: أنت ياولد. أتجيد السباحة؟ قلت لهم (لا). ولم تشفع لي إجابتي فربطوني من وسطي بحبل طويل وأنزلوني في مياه البحر الدافئة. ورحت أسبح وأنا بكامل ملابسي وجزمتي وصدقاً أقول بأنهم قد استطاعوا أن يخرجوني من أفكاري الحزينة. حين انشغلت بالسباحة وبهم حين اكتشفت أنني أقف على شاطئ حزين مهجور وكما فهمناه من المرشد السياحي أننا قريبون جداً من الجزيرة المهجورة، وأن هذه الجزيرة المهجورة كانت تستأجر قديماً من قبل شركات السينما الإيطالية.

لتمثيل أفلام (الكاوبوي) أي «رعاة البقر» حتى أن بقاياهم وآثارهم كانت موجودة وماهي إلا لحظات حتى تجمع الكل وبدأ الصخب والضحك والمرح تحت الأضواء الكاشفة. كان الفعل مودباً ورياضياً!! إن هؤلاء يمرحون معاً كأنهم أفراد أسرة واحدة هذا رغم أنهم لم تكن بينهم معرفة أو صداقة سابقة. إنه لقاء الصدفة فقط فكل ماكان يجمعهم هو البحث عن الفرحة والراحة هم أخوة أخوة في الانسانية نعم لقد كان كل شيء يحدث ضمن برنامج موضوع مسبقاً يعمل به يومياً وطبعاً مع ناس جدد وهكذا .. هكذا يفهمون السياحة.

وأخيراً شممنا رائحة الشواء فوق السطح فصعدنا بنظام بصحبة الموسيقى، ووقفت في طابور الطعام وقررت أن اختار قطعة (سمك) والشبس مع عصير الجوافة.

وأخيراً: جلست معهم وكان ضوء القمر شاحباً ربما قد ملّ وتعب من تكرار حركته النسخ كربونية بل خيل لروحي أن أتقمر معه أخواته النجوم ينظرون إلينا بشيء من الغيرة والحسد، وأن رائحة الشواء قد وصلت عندهم حتى كدت أحسبهم ينزلون إلى سطح سفينتنا.

نعم. تلك الرحلة كانت واحدة من ضمن عشرات الرحلات السياحية المتنوعة هم أذكياء والسياحة عندهم ابتكار وتجديد مع تقديم أحسن وأرخص الأفكار والخدمات السياحية ضمن خطط مرسومة ومخطط لها سلفاً وقد لاتصلح الفكرة لمجتمعنا إلا أنها نموذج لعمل سياحي ناجح.